

تجارب من حياة

# الأم إيريني



الرواية  
كتبتها الصحفية

تعددت الأسماء التي أطلقت  
على أم إيريني

## تقديم

### لنيافة الأنبا أرسانيوس مطران المنيا وأبو قرقاص

إنَّ الكلام عن حياة الأم إيريني صعب جداً لأنَّها شخصية غير عادية، فهي مُميّزة في كل مراحل حياتها التي عاشتها على الأرض، وأيضاً التي تعيشها في السماء. تماف إيريني عندما كنّا نتلاقى معها كانت تشيع منها ومن كلامها رائحة السماء، رائحة القديسين، رائحة الرهبنة الحقيقيّة، فهي أم راهبة تعيش بالروح، تعيش الوصيّة، وتعيش الرهبنة، ليست بممارسات خارجيّة بل بحياة رهبانيّة حقيقية، فهي منذ طفولتها كانت تتطلّع إلى السماء، لذلك تركت العالم الفاني ومقتنياته وارتبطت بالوحدة، ارتبطت بالسماء، وأسّست أجيال كثيرة من الراهبات في نفس المسيرة، فهي كانت سفيرة من السماء عاشت معنا على الأرض.

حياة تماف إيريني عبارة عن كنز كبير من الفضائل، تفتخر به الكنيسة عامة ودير أبو سيفين للراهبات خاصة، فكل من يعرفها أو يُقابلها كان يجد عندها دائماً رائحة

سماوية روحية، ونحن لا نعتبرها تركتتا بنياحتها، بل هي  
معنا دائماً، تشفع فينا وفي ديرها وفي الكنيسة.  
أشكر الراهب كاراس المحرقى على تعبته وجهده  
لإخراج هذا الكتاب، الذي يحوي ملامح من حياتها، الرب  
يستخدمه لخلاص نفوس كثيرة، بصلوات أمنا العذراء،  
وأبينا الطوباوي البابا تواضروس الثاني وشريكه في الخدمة  
الرسولية أبينا الأسقف الأنبا ساويرس.

أنبا أرسانيوس  
مطران المنيا وأبو قرقاص

## في ديرك وأمام جسدك

في ديرك وأمام جسدك الطاهر، نتذكّر يوم أن وضعك  
الله بين أيدي الحياة المملوءة شراً وأنت ملاكاً! فصار يوم  
ميلادك ليلة مُضيئة! وبعد نياحتك أضاءنا الشموع حولك،  
ونثرنا الورود على جسدك، وسكبنا العطور على قدميك.

تأتي النفوس إلى ديرك كأسراب الطير الجائعة، فتهبط  
إليك كما إلى بيدرٍ، فتلتقط حبوب طُهرِك، وترتوي من ماء  
حُبِّك، ثمّ تعود إلى عشّها شبعى هادئة.

لا نعرف كم مرّة لسعتك الشمس بحرارتها، ولكننا  
نعرف أنّ القمر كان ينسج من أشعته ثياباً لحمايتك، ومن  
ضيائه صنع تاج الطُهر ووضعه على رأسك ولم يسترده  
كل أيام حياتك!

بحثتي عن جمال النور ووقفتي، وعرفتني طريق الأبدية  
فانطلقتي، ونظرتي إلى السماء فارتفعتي، ولم تقدر الأرض  
أن تجذبك لا بتجارها ولا بشهواتها، فعشتِ والحُب قوّة،  
وصار العالم والكراهية ضعف، سعدتِ والسعادة على جبلٍ  
عالٍ، وبقي العالم والشقاء في عمق الوادي.

دخلتي الدير فتاة لم يضيفوا بعد إكليل زواجها، فصار  
لكِ يسوع عريساً صنع من طُهرِك ثوباً، وجعل الحُب يرتسم

كطفل بريء ووديع يتكئ على صدرك، والحنان يتلألأ في عينيك، وكلام الروح ينساب كقطرات الندى من شفقتك، ولمّا تصاعدت روائح الخطيئة من الأزقة، أعلن الله عن طُهرِكَ، فجاء الخُطاة يستمدّون العون منك، وبنظرة إلى عينيك الطاهرتين تابوا وعادوا إلى بيوتهم أطهاراً.

في وادي الألم سرّيتِ، وعلى نهر الدموع وقفتِ، وعلى سرير المرض رقدتِ، وأمام أشباح الخوف صمدتِ، فتراجعت أمواج الشر ولم تُغرق بهياجنها المتلاطم سفينة حياتك، أو تمحو آثار أقدامك من على الشاطيء.

وان كان المرض قيّدك بالرُقّاد والأدويّة، إلا أنّك بلغت قمة الجبل وسبّحتِ روحك في فضاء الحرّيّة والعِتق من العبوديّة، وها نحن نطلب أن تذكّرنا أمام عرش النعمة، لنحيا كحياتك ونسلك كجهادك، وأن يُعوّض الرب كل من انتفعت بكتبهم، فلا أنكر أنّ كتاب تماف إيريني الذي أصدره دير أبو سيفين كان مرجعي وكتب ومقالات أخرى.. أخيراً أقدم شكري لنيافة الجبر الجليل الأنبا أرسانيوس، الذي تفضّل مشكوراً بمراجعة هذه السيرة العطرة والتقديم لها، الرب يُعوّضه في ملكوته الأبديّ.

**كاراس المحرّقيّ**

## الفصل الأول

### ميلاد .. وتنبؤات .. ومعجزات

الطيور لازالت نائمة بين القضبان المورقة، والأزهار تضم أوراقها أمام أشعة الليل المظلمة، والنهار يتباطيء في نهوضه، وأنفاس البحر الباردة حبست الناس في بيوتهم: سابحين في أحلامهم، أو جالسين أمام المواقد فالنار فاكهة الشتاء اللذيذة، ولَمَّا لَوَّحَ الفجر رطباً وغمر بنوره القرى المتناثرة، ظهرت " جرجا " قرية بسيطة هادئة، تنتظر في يوم من أيام الشتاء القارصة (9 فبراير 1936م)، حدثاً فريداً وسعيداً، سوف يرفع من شأنها، وينشر في كل مكان اسمها.

### ميلاد جوهرة السماء

ساعات قليلة.. وتتسلل أشعة الصباح، فيظهر بيت ريفي قديم، طلى الحُب جدرانه، وغطى الحنان بلاطه، وملاّت الفضيلة أركانه، لكنّه لم يعد يحمل سكينة الليل، فقد سُمع في طُرقاته صوت دبيب أقدام حائرة، وشهدت أروقتة حركة أرجل تسير مترنحة! تُشير إلى أنّ أنفاس

الموت تسلَّلت إلى البيت، تُريد أن تستدّر دموعهم وتستنزف دمائهم!

وها هي لحظات تمر كأنّها دهر، جفّت فيها دموع الفرح من عيني " يسّي "، وهو ينظر فجر الألم يُلوح يُريد أن ينشر أجنحة الحزن على بيته، والدموع تترقرق لامعة في عينيّ زوجته البارة " جنيفياف " المتعثّرة في ولادتها! مثلما تلمع قطرات الندى على أوراق النرجس، فخريف الموت يقترب منها يُريد أن يُسقط بكرتها، ثمرة بطنها من شجرة الحياة، ويكفّنها كما يكفّن بأوراقه الزهور الجافة المُتساقطة! تُرى كم كان شعور زوجة بارة لم تُعانق الحياة بعد، حتى رأت شبح الموت وهو يُخيم عليها وبذراعيه الحادة يحتضنها!؟

فهل تتحوّل قطرات الندى دموعاً في كؤوس الورود!؟  
وتتشد الطيور لحن الموت ثمّ تختفي حُزناً بين الأغصان المتألّمة!؟ أم تطلب أن يأتي الموت ويخلصها فالأبدية أفضل للقاء المُحبّين من عالم يخنق بأشواكه الأزهار، ويُسقط الحُب من على كرسيّه!؟ أسئلة كثيرة راودت فكر " جنيفياف " وهي كسيرة القلب، عندما رأت نعش الموت ينتصب بجانب تخت العروس!! وأصبحت تحيا كسفينة تسير بين لُجج البحر وطبقات الفضاء المُلبّدة بالغيوم!!

لقد توقّف العقل ليس يأساً، بل ليبدأ عمل الإيمان،  
والصلاة تفتح أبواب السماء، وإن كانت من لسان يتكلم  
بالدموع، ففي الحال يشع ضياء بهي يملأ المكان، وتأتي  
أمّ النور ومعها مارجرجس لتضع القيثارة المطروحة على  
سرير الألم في مهب النسيم، ليحرّك بريحه ما بقي من  
أوتارها الذهبية، لتعزف لحن الخلاص لمن يملأ الحُب  
قلبه، ويحتضن البشر بذراعيه، ولتسقي السراج زيتاً فأضاء  
وانتصر النور على الظلمة، وفازت " جنيفياف " بإكليل  
الحياة، وولدت زهرة عطرة جميلة في بستان الحياة أسمتها  
" فوزية "، تُشير الأحداث وما صاحب ميلادها من  
معجزات وظهورات لقدّيسين أنّ مستقبلها باهراً ينتظرها!

## العماد ورؤية أنبا أنطونيوس

أيام تمرّ.. جنى فيها " يسى " وزوجته " جنيفياف "،  
بذور السعادة من حبوب الوفاء، التي زرعتها المحبّة في  
أعماق قلوبهما، ونشر فجر الربيع ثوباً نقيّاً كاد أن يطويه  
ليل الشتاء.. وعادت الرياحين تتعانق، والأشجار تلقي  
بثمارها الشهية، وفي يوم من أيام الربيع المفعمة بأنفاس  
الحُب، اجتمعت العائلة بين انهماك الكبار وتهليل الصغار،  
ليشقوا الطريق في رحلة قصيرة وبهيجة إلى دير " الأنبا



شنودة "، فقد جاء وقت العِمام، وفي الدير يُخبرهم " أنبا أنطونيوس " أسقف أخميم (1920-1951م) برؤيته لأنبا شنودة رئيس المُتوحِّدين، وهو يبارك تماف عند خروجها من جُرن المعموديّة!

## عناية السماء

سنوات تمرّ.. وإحساس قوي بالسعادة يملأ البيت، وتماف تمتليء بحلاوة الحياة ومن عينيها الطاهرتين يتلألأ الرجاء ويشع بريق الإيمان، وعندما كانت ترتدي ملابسها البيضاء، تبدو كملاك وشّحته السماء بملابس الطهارة ولا تشبع العين من رؤياه، وهكذا انعكست ملامح السماء على وجهها الملائكيّ، مثلما تنعكس أشعة النجوم في حوض هاديء، فيزداد جمالاً لكل من يراه ويقف أمامه.

وفي يوم كانت عند جدّها وأرادت أن تلعب على السطح، فرفضت الأم، ومع إصرارها أنزلتها على الأرض، لكنّ عقرباً لدغها، لا ليُميتها بل لتظهر فيها عجائب الله! وبتطاير الخبر كالبرق، والأم تتشفّع بالقديسين، فالكلام عجز أن يتجمّد على شفّتها، بل انساب كشُعلاتٍ من نار تُريد أن تحرق عقارب الموت وأبالسة الجحيم، فلمّا صرخت إلى شفيعها الأنبا شنودة رئيس المتوحِّدين، جاء ورشمها

بعلامة الصليب فشُفيت الطفلة في الحال، وأعلمها  
برهبتها ليؤكد نبوة العذراء مريم يوم ولادتها! فعاد الفرح  
يملاً خلايا صدر الأم من جديد، وأدركت أنّ ابنتها ملاكاً  
يرتدي زيّ الأطفال! بينما الأسرة عادت إليها البهجة،  
وارتسمت البسمة على وجوه أفرادها، ففتحوا أفواههم  
كالزهور مبتهجة: حمراء كالياقوت، وزرقاء كالزمرّد..

## الصلاة لغة الحب

يأتي الصباح بضياءه فينقشع الليل بظلامه وتسود لغة  
الحُب، فالأغصان تتعانق، والأزهار تتمايل، والعصافير  
تُرثم مزامير داود والطيور تُغرّد أناشيد سليمان.. والكل  
يسير نحو من يُحب، فجداول المياه تسير نحو حبيبها  
البحر، والزهور تبتسم لعريسها النور.. أمّا " جنيفاف "  
لؤلؤة الطهر فتذهب إلى أمير الحُب، الذي ترّبع على عرش  
قلبها، وتملّك حواسها وملاً فكرها، فقد أدركت أنّ الحياة  
هي فردوس بابه هو القلب الذي يمتليء بحُب الله، وبدون  
حُب لا حياة ولا أمل في حياة!

وفي حُجرة تحوم فيها أرواح الملائكة، يطل شباكها  
على كنيسة السيّدة العذراء بجرجا، التي كثيراً ما سمعوا  
أصوات قُدّاسات للآباء السّواح فيها، اعتادت الأم أن

تُصَلِّي، ولكم أن تتخيلوا شعور طفلة لم تَذُقْ بعد حلاوة الحياة أو مرَّها، وهي ترى أمَّها تُرتل مزامير الأجيَّة بصوت يُضاهي نغم الناي في رفته، والدمع الدافيء الطافح من عينيها كثيراً ما ينوب عن لسانها في تأملاتها! أو عندما رأتها تعمل ميطانيات فسمعت صوتاً رقيقاً يُناجي الله تُقاطعه زفرات أنفاس متقطَّعة، فبكت خوفاً، واقتربت من أمَّها محتمية بحنانها، فضمَّتْها إلى صدرها وأخذتها في حضنها وقبَّلَتْها، ومسحت بيدها الحانيَّة الدمع الراشف من عينيها، وبصوت يتموِّج الحُب بين كلماته قالت لها: لا تخافي أنا أُصَلِّي وأسجد لله، وعلمَّتْها من صِغَرها الصلاة بالأجيَّة وعمل الميطانيات! فبدأت الطفلة تُقلِّد أمَّها!

ولا تنسى تماف عندما كانت طفلة بريئة، وانسكب ماء مغلي على رجليها فترك ألماً وأثراً، فلمَّا نادى والدتها على السيِّدة العذراء، شعرت الطفلة بنسمة هواء تمر عليها، فشُفيت في الحال ولم يعد للحريق أثراً!

وتذكر تماف أنَّ والدتها أصابها في يوم ألماً شديداً في معدتها، وتشفَّعت بالعذراء مريم، ليُطيل الله عمرها حتى تكبر تماف وترعى بناتها الثلاثة، فجاءت إليها أم النور بزِيَّها السماويِّ المرصَّع بالنجوم وشفَّتها، وعاشت الأم حتى ترهَّبَتْ ابنتها وكان لها من الأولاد: أربع بنات وولدين!!

ثرى كم يكون إيمان طفلة، رأت الحُب كطفل بريء  
يتكئ في عيني أمها، والطهارة تسيل على وجهها، والدموع  
كحبات لؤلؤ تتساقط لامعة في الصلاة على خديها؟! ويدها  
ممدودة للفقراء؟! وبيتها مأوى للمساكين؟! أيّ قداسة تصل  
إليها طفلة رأت والدها يعطف على المحتاجين، وجدّها  
يأخذها ليضع احتياجات الفقراء على أبوابهم سراً، ويقود  
الأسرة ليلاً في الصلاة؟! ألم يقل مُعلّمنا بولس الرسول:  
" إِنْ كَانَ الْأَصْلُ مُقَدَّسًا فَكَذَلِكَ الْأَغْصَانُ! " (رو 16:11).

## الفصل الثاني

### الاشتياق إلى حياة الرهينة

مَلَكَتْ تَمَافَ قَلْبًا طَاهِرًا قَدَّسَهُ الْحُبُّ وَمَلَأَهُ الْعَطْفُ،  
وَكَرَّسَتْ نَفْسَهَا لِأَعَالَمِ زَائِلٍ، بَلْ لَمَنْ أَحَبَّهَا وَبِوَشَاحِ عَطْفِهِ  
غَمَّرَهَا، وَتَرَكَ شَعْلَةَ حُبِّهِ السَّمَاوِيَّةَ تَمَلُّأً خَلَايَا صَدْرِهَا،  
لَتَلْتَهُمْ مَيُولُهَا الْأَرْضِيَّةَ وَشَهَوَاتِهَا الْجَسَدِيَّةَ، وَتُبَدَّدُ مِنْ قَلْبِهَا  
ظُلَامُ الْغِيْرَةِ وَالْحَسَدِ وَالْكَرَاهِيَّةِ.. وَهَكَذَا كُلُّ مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ،  
يَصْعَدُ عَلَى أَجْنَحَةِ حُبِّهِ الطَّاهِرِ إِلَى السَّمَاءِ لِيُمَسِّحَ مِسْحَةَ  
رُوحِيَّةً، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى الْأَرْضِ مَرَّةً ثَانِيَّةً، لَا لِيَحْيَا كَانِسَانٍ  
وَإِنَّمَا كَمَلَائِكٍ يَرْتَدِي زِيَّ إِنْسَانٍ!

### زهرة عطرة

وهكذا عاشت تماف كوردة جميلة، إذا أشرق النور  
فتحت أوراقها مع نسيمات الصباح الرطبة لترتوي من ندى  
السَّمَاءِ، فَتَأْخُذُهَا الصَّبِيَّةُ وَتَضَعُهَا إِلَى صَدْرِهَا لِتَنْزِينِ  
بِجَمَالِهَا، وَتَنْتَسِمُ عَبِيرَ طَهَارَتِهَا، وَفِي الْمَسَاءِ تَضُمُّ أَوْرَاقَهَا  
مَعَ أَشْعَةِ الْمَغِيبِ حَتَّى لَا يُبْصِرُهَا أَشْبَاحُ اللَّيْلِ، فَيَرْمَقُوهَا  
بِسَهَامِ نَظَرَاتِهِمُ النَّجْسَةَ، وَعِنْدَمَا يَأْتِي الرِّبِيعُ تَتَحَرَّكُ فِي

الحقول فنزئِنها، وتتَنفس في الهواء فتُعطِّرُه، وتفتقد الأُسْر  
فنزئِدها بهجة.

لكنَّ الزهرة الجميلة العطرة كانت تعرف طبيعتها،  
وتُدرك أن بساط الحقائق الخضراء لن يظل إلى الأبد  
مسكنها، فلا بد أن يأتي الخريف ويُسقط أوراقها ويقتلع من  
ثُربة الحياة جذورها!

ولهذا لم تترك عواطفها نهياً لمجد زائل تكرهه، ولم تُقدِّم  
عبادتها على مذبذب ذهب تحترقه، ولم تكن خادمة مطيعة  
لجسدٍ فان مصيره قبر يخفيه وتراب يُغطيّه ودود يأكله،  
لأنَّها أَحَبَّتْ عريس كلِّي الطهارة، كريم الخلق، نقي القلب،  
بذل نفسه حُباً فيها ورغبة في خلاصها، فكانت تأثيرات  
الشهوة عليها ضعيفة، والمادة لا تُساوي لحظة حُب مُقدَّس  
في صلاة أو تأمُّل، وجعلتها المحبَّة تستصغر كل شيء  
ماديّ زائل أمام عظمة الروح الخالدة.

## فكر الراهبة

وتتمو تماف نمو الهلال إلى أن صارت قمراً مُنيراً،  
وأصبح جمالها الروحانيّ لا يصفه شاعر أو يتجسّد بريشة  
فنان، والطهارة كهالة من نور تُحيط بها، ومن عينيها  
ينبعث نور الإيمان، وفمها ينطق بعظائم الله، فالآيات

المُقدَّسة وسير القديسين كانت تنساب من شفيتها وتسقط على قلوب سامعيها، كما تتساقط قطرات الندى على تيجان الزهور، فتملأها حيوية وتزيدها نضارة فتمسك أكثر بالحياة.

وكم من مرّة جلس يسّي وزوجته يُراقبان بعيون الفرح جمال ابنتها الوديعه، وهى تنهل من تعاليم الإنجيل، أو تقص عليهم سيرة عطرة من سير الأنبياء أو الشهداء أو القديسين، أو تُردد على مسامعهم ما حفظته من آيات في مدارس الأحد، وهى جالسة أمام شمعة، فينعكس الضوء الخافت على وجهها ويرسم عليه ملامح القديسين؟! فهناك دميانة العفيفة تسكن في قصر مع أربعين من العذارى يتعبدن لخالقهم، ومارجرس يموت شهيداً حباً في سيده، وفيرونيا ترفض أن تتدنس بوحل الإثم فتموت وفاءً لعريسها السماوي، وإيلارية تتخفي في زيّ راهب، وأبانوب وكيرياكوس.. يُعلنون إيمانهم بالمسيح وهم بعد أطفالاً!

قصص كثيرة مُعزّية ألهمت قلبها! ولكن ماذا تفعل؟ هل تهرب مثل أناسيمون الملكة؟! ولم لا، الفكرة واردة! لكن الأب يقترح بناء قلاية على السطح لتتعبد فيها، والكاهن يسمح لها بالذهاب إلى الدير وهى بنت الثامنة عشرة سنة، لأنّها ستعود لصغر سنّها وقسوة الحياة الرهبانية، وهى التي

عاشت بلاعوز، وبهذا لن تُحارب بفكر الرهبنة مرّة ثانية،  
والأم تطلب فترة للصوم والصلاة حتى تظهر إرادة الله..

## راهبة على سطح البيت

أفكار كثيرة وآراء متعددة ملأت البيت بسبب رهبنة  
تماف، ولم يبقَ سوى الانتظار حتى تُعلن السماء وقت  
انطلاقها، وخلال هذه الفترة كانت تماف عندما تذهب إلى  
خالتها التي شاركتها فكر الرهبنة، تصعد على سطح البيت  
معها، وهي في الحقيقة كانت ترتفع عن الأرض بكل ما  
تحمل من ماديّات ومشاكل وهموم.. لكي تكون قريبة من  
عيون السماء! ومن فوق شعرت بأنّ هناك فاصلاً كبيراً بين  
الحياة السمائيّة التي ترغبها والحياة الأرضيّة التي تحياها،  
وأنها اقتربت من السماء أكثر، لترى كواكب القديسين المُنيرة  
في سماء الرهبنة، كأنبا أنطونيوس وأنبا باخوميوس وأنبا  
مكاربيوس.. الذين شقّوا لهم طريقاً وسط ظلمات العالم،  
وأضاءوا فيه شعلة الروح والأمل.

وكم كان منظر تماف رائعاً وهي تُمثّل حياة الراهبات  
فتخيّل نفسها راهبة، هكذا يجب أن تتكلّم وتُصلي وتقف  
وتجلس! إنّها اشتياقات بريئة خرجت من فتاة لم تعرف من  
الحياة سوى ابتسامتها المُحيية وأصابعها الوردية الناعمة!



## مأساة موت خالتها

وبينما كانت تماف تطلب شُعلة المحبّة، لتضمّها إلى صدرها وتملأ بها قلبها، وتُثير طريقها في حياة الرهينة..  
تضفر أسرة خالتها إكليل من شوك الموت الحاد لزواجها!  
فهل تتزوَّج خالتي مُفيدة؟ هل تترك عريسها السماوي؟ هل تهرب إلى الدير؟ ماذا ستفعل؟ أسئلة كثيرة راودت فكر تماف وأقلقتها، فخالتها كانت أحب الناس إليها وأقربهم إلى قلبها وفكرها!

أيام قليلة وغامضة تمر.. والناس يضجّون كالعاصفة، ويحصدون بمناجلهم سنابل الفرح، وتُصرُّ الأسرة على زواج خالتها، التي صارت حياتها شتاء قارص غطّاها بأحواله، ولم يعد لصوتها المتهدّج ودموع الرفض وأنين التوسّل.. قدرة أن تُنقذها!!

وبينما الأسرة منهكة في إعداد لوازم الإكليل، كانت أصابع الموت تحفر قبرها، وقد كان! فعلى إثر صُراخ اجتمع الناس فوجدوا العروس مُلقاة على الأرض، فقد أصابها صُداع بعد أن أثقلت المتاعب أجفانها، وأشباح الخوف من الزواج تملّكت فكرها، ف وقعت من على السُّلم، وكلّها لحظات حتى انقطع من الهواء نسمات أنفاسها!

## عزلة وأحزان وآمال

سكنت العاصفة بعد أن لَوَتْ الأغصان وأحنت الزروع،  
وبانت النجوم تبت شُعاءً خافتاً على وجه الأرض، وعانق  
النوم أرواح البشر، وبقيت تماف وحدها تتأمل خالتها رفيقة  
فكرها، وتتمنى لو استطاعت أن تمد جناحها فوق بحر  
العالم لتعبر إليها وتُعانق روحها، التي كانت قريبة إلى  
روحها، لكنّها لم تُعانق الخيال كثيراً، فأخذت تكفكف بيدها  
دموعها، ثمّ جاء النُعاس وانتشلها من سيل الفكر المُضنيّ،  
لتجد نفسها في الصباح بين يديّ أمّها، التي ذهبت إليها  
لتوقظها وتواسيها، حتى لا يبتلعها الحزن على فراق خالتها  
وصديقتها، فشعرت الابنة بلامس أيدي ناعمة كما لو  
كانت حفيف جناحي طائر يبتحنانه على وجهها، وهو  
يُريد أن يأخذها على جناحيه إلى عِشّه! فقامت معها لتُخرج  
أنفاس الحزن في صلاة دامعة، فالدموع لسان يتكلّم بكل  
اللغات، والله يستجيب للأنين المصحوب بالدموع.

## الانطلاق إلى الدير

عاشت أسرة تماف في أزمة بعد موت خالتها، وزاد من  
حدّتها فكراً ساد في ذلك الوقت، يُوحى بأنّ الأديرة لا

يسكنها سوى العُمي والمُعاقين والبسطاء..! وأصبحت  
الأم ترتعش كطفلة أصابها الجوع، والأب يتهدّد على سرير  
الهم يُحيط به اليأس، وتوقّفت الحركة داخل البيت وخيم  
الحزن وساد البكاء.

تُرى ما هو مصير وردة تتمسّك بالحياة وسط رعود  
الشتاء؟! لسنا نعلم على وجه الدقة، لكن العقل يقول: لا،  
والأفضل هو انتظار رأي السماء، وتماف ترُقّب في سكينة  
الليل مجيء المُخلص ليُنقذها من عبوديّة الأيام التي  
أصابها الملل، فقد بدأت تشعر بالمجاعة الروحيّة العميقة،  
وهي الآن تُريد أن تشبع من خبز الحياة، وأصبحت تسير  
على طرق الحياة مثل صبيّة تائهة بين الأحياء المهجورة.  
وقد كان! فبعد أسبوعين صوم وصلاة شعرت الأم  
بأجنحة سماويّة تُرفرف من حولها، فقد ظهرت لها القديسة  
مريم وملاّت بيهاؤها حُجرتها، وذكّرتها بما قالتها لها يوم  
ميلادها عن رهينة ابنتها، فقامت تُرف هذه البُشرى لزوجها.  
وهكذا انقشع الليل بظلامه وأتى الصباح بضياءه،  
ليُعلن رغبة السماء أن تكون تماف عروس للمسيح، ولم  
يبق الآن سوى بعض ترتيبات بشريّة.. ولكن في أيّ دير  
ستترهب؟! أبو سيفين كما أعلمها في رؤيا! ولكن كيف  
تذهب؟ الأم ماريّا تأتي لزيارتهم في البيت...!

وقبل أن تصبغ الشمس بأشعتها الذهبية سُرفات البيوت، تخرج تماف من غرفتها تحمل بيدها بعض متعلقاتها، وتهرع بعد تقبيل أمِّها وأخواتها.. إلى الباب الخارجي، فما أن خرجت حتى شعرت كأنَّها طفلة ترى الحياة لأول مرّة في حياتها!

ويمشي الحبيبان الأم ماريًا وابنتها بين الأشجار، تخفيهما ستائر الليل، بينما السماء تنسج من أشعة القمر مصباحاً يُنير الطريق أمامهما، وبخطوات حثيثة يسيرون في الحواري المتعرّجة اليابسة بجمود الليل الخالي من الندى، وقد خلت من عُتاة اللصوص الهائمة، ومن خلفهما يسير الأب بهيبة ووقار يحرسهما وهو يُغالب الحزن فيغلبه، ويُصارع الفراق فيهزمه.. ولم يعد أمامه سوى أن يستعيد ذكرى تموجات نسيم ابنته، التي فاقت زنبقة الحقل في نقاوتها، وزهرة النرجس في جمالها.

## نظرات الوداع

ويشرع نهار يوم (16 أبريل عام 1954م) في البروغ، فتلقي تماف نظرة وداع أخيرة على بيت طاهر، بين جدرانها ذابت أرواح البشر حُباً لخالقها، ومن حجارتها سالت أنغام التسابيح وتراتيل المزامير، وقد تعبقت حُجراته بروائح

الصلاة الطاهرة التي خرجت من شفاه أسرة تقيّة، هي رمز الإخلاص في العبادة عن حُب.

وعندما انقشعت الظلال الكثيفة تحت قبة السماء، كانوا قد وصلوا إلى محطة القطار، وهناك وقف الأب أمام الشباك، يملأ عينيه الممتلئتين بالدموع من جمال ابنته، وإن كان قد أظهر شجاعة مُصطنعة! إلا أنّه في الحقيقة كان يبحث عن كلمة عزاء لتهدأ نفسه الحزينة وتستقر روحه المضطربة على فراق زهرة حياته، التي سقاها من نور عينيه ومن عصير قلبه حُباً، لتتمو ويفوح عبيرها، وطائرهِ البديع الذي صنع قفصاً من أضلعه لحمايته، ولكن عندما نبت ريشه فرّ منه هارباً، ليسكن في عشٍ آخر لا يعرف عنه شيئاً!!

وبهمس الكلام يطلب الأب من ابنته أن تعود لو تعبت ولم تجد في الدير راحتها، وبصوت حنان تطلب الابنة، ألاّ يسكبوا قطرة من مرارة الحزن، أو يذرفوا دموع الألم على فراقها، لأنّها ترغب أن تُكمل حياتها بين الراهبات، وجسدها يريد أن يستريح على تراب الدير! ومهما كانت حياتها في الدير، فلن تستطيع الأيام أن تمحو ذكرى الحياة الطاهرة الجميلة التي عاشتها في بيت طاهر وجميل بين أُسرتها، أو تقدر ستائر النسيان أن تخفيها من قلبها، وهكذا تملّصت

تماف من ضجيج الحياة وهموم العالم، والحلم صار حقيقة  
في عمق الحياة..

ويطلق القطار صافرته لتتطلق عروس المسيح إلى  
أعظم حياة وهي تردد في قلبها: إن كان الحُب قد جمعنا  
فمن يقدر أن يُفَرِّقنا! ويعود الأب إلى بيته ليجده خالياً إلا  
من برد الحجر القاسي، وتملاً حجراته دموع الفراق،  
فعصفوره الجميل الذي أحبه لم يعد يُغرِّد على مسمعه، فقد  
تركه لكي يُحلّق في سماء الدير بعيداً عنه وعن أسرته.

## الفصل الثالث

### تماف في دير أبو سيفين

اقترب عيد القيامة.. وكان الكون قد تنقّى من أوحال الشتاء، والربيع أنبت الزهور، فظهرت الحدايق بأبهى حلّها: بيضاء وحمراء وزرقاء.. وفي يوم من أجمل أيام السماء على الأرض، حيث الهواء تنقّى من الغبار، وصار مُعطّراً بأنفاس الحُب، طرقت الأم ماريّاً أبواب الدير، ففتحت راهبة لترى أختها وابنة ديرها تقف على الباب، ومعها دُرّة غالية كثيرة الثمن، فتاة في " الثامنة عشر " من عمرها، عرفت من الكلام أنّها ترغب حياة الراهبة!

### نظرات تعجب ! وعلامات استفهام؟

لحظات قليلة تمر.. والراهبة تُحدّق في عينيها الممتلئتين بنور الإيمان لعلّها ترى ما تُخبئهما من أسرار، ثمّ بدأت الأفكار تتزاحم وأخذت تتساءل: هل تستطيع فتاة مراهقة بأجنحتها الضعيفة أن تبتعد عن حزن أمّها؟ هل تقدر أن تصمد أمام قسوة الحياة الديرية؟ أم أنّ عواصف التجارب ستُمزّقها فتعود كسيرة القلب إلى بيتها؟! وإن

صارت راهبة، هل تقدر أن تسبح في سماء الروح كما يسبح الحمام في الفضاء؟! أم ستتعذب روحها في قلايتها مثل عصفور داخل قفصه المُميت وهو يرى جُرن جف مائه وجُرن نَفدتْ بذوره؟! لقد نسجت أصابع الحيرة نقاباً من علامات الاستفهام، وأسئلة كثيرة تبحث عن جواب، دارت حول طالبة الرهينة الجديدة؟!!

## مع الراهبات في الكنيسة

دقَّ الجرس، وفُتح باب الكنيسة، وخرجت الراهبات من القلاي مُسرعات للصلاة، لكن فتاة صغيرة وجميلة تبدو الهيبة والوقار على ملامحها تقف معهن! تُرى من تكون هذه الفتاة؟ ولماذا أتت؟ هكذا نطقت أعينهن عندما تبادلن بصمتِ النظرات!

أمّا تماف فبسّطت يديها كطائر بديع، يُريد أن يستقر في عشٍ تمنّاه وظل يبّحث عنه، وأخذت تُصلي ودموعها تتساقط كحبّات لؤلؤ على خديها لتزداد هيبة وجمالاً، ولمّا انتهت الصلاة وخرجن من الكنيسة، بدأت نصائح الراهبات وكثُرت أسئلتهن: هل نفسها حزينة تُريد أن تجد راحتها بالعزلة عن الناس والانفراد وحدها؟! أم أنّ خطيبتها هجرها وهي تُريد أن تتوارى كغزالٍ جريح عن سربه؟! لكن تماف



أرادت أن تُعلن عن نفسها وحبّها لله بأعمالها لا بأقوالها،  
كما قال القديس أغسطينوس: لا تجعل أعمالك تُكذّب  
أقوالك.

## أول ليلة في القلاية

كان أسبوع الآلام قد أتى عندما دخلت تماف الدير،  
حيث الدموع تملأ الجفون، ويهدأ شغب الجسد من شدّة  
الصوم وكثرة السجود، وتشخص العيون باكية إلى يسوع  
المصلوب، وهو يستسلم لعواصف الأشرار حتّى أسقطوا  
شجرة حياته المثمرة لتحيا البشرية المائتة بموته!  
لحظات.. ساعات ثمّ ثلاثة أيام تمرّ.. لم تذق فيها  
تماف طعام الأكل! حتّى أخذتها راهبة إلى قلايتها  
وأطعمتها، ثمّ أعطوها قلاية مهجورة يابى الخدم والعبيد  
السكنى فيها!

ولم يكن في القلاية شمعة أو لمبة جاز، فقط كنبه  
نامت عليها، ولعدم وجود غطاء التحفت ببالطو كان والدها  
قد اشتراه لها لتُسافر به إلى الدير، ثمّ أخذت تنظر إلى  
أعماق الليل عسى أن يضمحل ويأتي نور الصباح ليتبدد  
الخوف، ولكن مع خوفها كانت تُدرك أنّ الإنسان لا يبلغ  
شروق الفجر إلا عن طريق ظلام الليل!

## حروب الشياطين

وفجأة أخذت نبضات قلبها تتسارع وتتمايل، كأنها أمواج بحر بين صعود وهبوط! فماذا حدث؟! أتاها عدو الرهبان والراهبات: شخص أسود، طويل القامة، رأسه تصل للسقف، وعيناه بلون الدم، وخطوده كالخرق المتجعدة، ووجهه كصحيفة رمادية مكتوب عليها بلغة دموية قاتمة: " شيطان "، وفي يده الجافة العارية كان يمسك سكيناً! فهل تنتصب كبرج شامخ أمام العاصفة؟! لا، فقد وقعت من هول المنظر على الأرض! فلما سمعت راهبة صوت صُراخ منبثق من أحشاء الليل، وضجة هائلة من القلاية المُجاورة لها أسرعَت إليها، وعندما دخلت القلاية وجدت تماف مُلقاه على الأرض، لا يتبقى فيها سوى أنفاس متقطعة، فأخذتها في حضنها ومضت بها إلى قلاية الأم الرئيسة، فهدأت من روعها.

وقد كانت الأم حكيمة وخبيرة بحروب الشياطين، فعندما طلبت تماف أن تنام معها في قلايتها إلى أن يأتي ميعاد الصلاة، رفضت حتى لا تشعر بالضعف والهزيمة، وتلجأ إلى الراهبات عند أيّ حرب تُصادفها، فالتجّلد في القلاية يُفيدها أكثر عندما تُحاربها الشياطين، وبعد حديث

عزَّاهَا وشَجَّعَهَا نصحتها الأمُّ قائلة: إِنَّ الشَّيْطَانَ مِثْلَ القَشِّ يَهْرَبُ مِنَ رِشْمِ الصَّلِيبِ، إِرْجِعِي إِلَى قَلْبِكَ وَلَا تَخَافِي!  
وَذَاتَ يَوْمٍ قَامَتْ لِتُصَلِّيَ لَيْلًا، وَعِنْدَمَا بَدَأَتْ عَمَلَ المِيطَانِيَّاتِ وَجَدَتْ ثَعَابِينَ عَلَى الأَرْضِ! فَظَنَّتْ أَنَّهَا تُعَانِقُ الخِيَالَ أَوْ تَشْرَبُ مِنَ جَدَاوِلِ الأحْلَامِ! لَكِنِ المَنْظَرَ تَكَرَّرَ فَشَعُرَتْ أَنَّ لَدَغَةَ المَوْتِ تَقْتَرِبُ مِنْهَا، لِحِظَاتٍ مَخِيفَةٍ..  
انْبَثَقَتْ مِنَ عَمَقِ الجَحِيمِ سَادَهَا صَمْتٌ مِصْحُوبٌ بِأَنِينٍ، بَعْدَهَا تَسَارَعَتْ دَقَّاتُ قَلْبِهَا ثُمَّ صَرَخَتْ صَرَخَاتٍ مُدَوِّيَّةٍ تَطْلُبُ مَعُونَةَ، فَالتَّجْرِبَةُ تَفُوقُ قُدْرَتَهَا وَسَنَّهَا، فَجَاءَتْ إِلَيْهَا رَاهِبَةٌ عَزَّتْهَا وَعَرَّفَتْهَا أَنَّ مَا يَحْدُثُ هُوَ حُرُوبُ شَيْطَانِينَ، وَعَلَيْهَا أَنْ تَصْمَدَ، وَتَتَمَسَّكَ بِاللَّهِ أَكْثَرَ، وَلَا تَتْرَكَ الصَّلَاةَ، وَتُرْشِمَ عَلَى الشَّيْطَانِينَ عِلَامَةَ الصَّلِيبِ، وَعِنْدَمَا حَكَتْ لِأَبِ اعْتِرَافَهَا طَمَئِنَّا وَطَلَبَ مِنْهَا أَنْ تَسْجُدَ وَتَطَأَهُنَّ دُونَ خَوْفٍ!  
وَقَدْ كَانَ! وَفَشَلَ الشَّيْطَانُ فِي اقْتِلَاعِ وَرُودِ الحُبِّ مِنَ قَلْبِهَا، وَعَجَزَ أَنْ يُسْقِطَ أَشْجَارَ فِضَائِلِهَا مِنْ ثُرْبَةِ الحَيَاةِ، لِأَنَّهَا جَعَلَتْ مِنَ قَلْبِهَا بَيْتًا لِجَمَالِ عَرِيسِهَا السَّمَاوِيِّ، وَمِنْ صَدْرِهَا قَبْرًا لِآلَامِهِ، لَقَدْ تَمَسَّكَتْ تَمَافَ بِيَسُوعَ أَكْثَرَ، وَأَحَبَّتْهُ كَمَا تُحِبُّ الزُّهُورُ نَسِيمَ الرِّبِيعِ، وَعَاشَتْ بِهِ كَمَا تُحْيَا الزُّرُوعُ بِحَرَارَةِ الشَّمْسِ الدَافِئَةِ، وَتَرْتَمَّتْ بِاسْمِهِ القُدُّوسِ كَمَا تَتَرْتَمُّ صَحْرَاءُ الأَدِيرَةِ بِرَنِينِ أَجْرَاسِ الكِنَائِسِ.

أمَّا الراهبات فأدركن أنَّ هذه الفتاة الصغيرة في عمرها،  
والكبيرة في محبَّتها، والعظيمة طهرها، هي حِصاة قذف بها  
الله في بحيرة إبليس المُخيفة فأزعجته وجنوده، عندما  
رسمت دوائر فضائلها في مياهها المشتعلة بنار لا تهدأ!

## اختبار الطاعة

إنَّ ملوك وعظماء العالم يسعون لتمجيد أنفسهم، حتَّى  
وإن نالوا مجدهم بإذلال البشر! أمَّا المسيحيَّة فتؤمن أنَّ من  
يسير في طريق النور عليه أيضاً أن يسير في طريق  
الطاعة، وإلَّا سيكون كمن يزرع بين الأحجار والأشواك  
فيتعب باطلاً دون أن يحصد شيئاً، ولهذا قال أحد الآباء  
القديسين: " إنَّ الطاعة ترفع عنك عبء المسئوليَّة "،  
والحكماء من الرهبان والراهبات يُفتشون أولاً عن البتوليَّة  
والطاعة داخل أعماق الراغبين حياة الرهبنة.

ولهذا عندما التحقت تماف بالدير أرادت راهبة حكيمة  
أن تختبر مدى طاعتها، فماذا فعلت؟ وقفت في موضع  
عالٍ وأخذت تُنادي عليها وهي أسفل واقفة على الأرض،  
ثمَّ طلبت منها أن تكنس الأرض، فلمَّا بدأت تكنس بحماس  
نادتها أن تتوقَّف! فأطاعت ودخلت قلايتها لتُمارس حياتها  
الروحيَّة، وفجأة نادت عليها فخرجت، وهكذا ظلت تختبر

طاعتها بأساليب عدّة وطرق شتّى، وفي النهاية قالت لها:  
لن يكون للدير فضل عليك، لأنك تأدّبتني في بيت أبيك  
من قبل أن تأتي إلى الدير لتصيري راهبة.  
وهكذا صار اسم تماف يتردد على ألسنة الراهبات،  
فالفضيلة تربّعت بوضوح على عرش قلبها، والقدااسة  
تجسّدت في حواسها وحركاتها، وكلام الروح كان ينساب  
من شفّتها، ولم تعد هناك حاجة بعد لتطول مدّة اختبارها.

## الفصل الرابع

### يوم الرهبنة العظيم

سنة أشهر تمرّ على اختبار تماف في الدير.. كأنّها نسمة من نسّمات الربيع! وفي يوم (26 أكتوبر 1954م)، يدقّ الجرس نغمات الفرح للاحتفال بالرهبنة، فتأتي راهبات الأديرة المُجاورة للمشاركة والتهنئة، وفي منظر لا يتجسّد بقلم كاتب يدخلن الكنيسة مع راهبات الدير، زادهن جمالاً ووقاراً زيّهنّ الأسود وطرحاتهنّ الطويلة، وتتجلّى عروس المسيح البارة العفيفة وهي تسجد شكراً لله أمام الهيكل، ثمّ تنهض في خفة وتعمل ميطانية طاعة أمام الأب الورع " مقّار المقاريّ "، وأخرى للأمّ الرئيسة وأخواتها الراهبات.

### تحت السجادة

وتبدأ طقوس السيامة.. وتماف نائمة على الأرض مُغطّاة بسجادة! وهي تسبح في دموع الفرح، وما أن انتهت طقوس الاحتفال كحلّم سماويّ جميل لا يُفسر، حتى وقفت الأمّ " إيريني " بوقار تتلقّى التهنئة من الضيوف، وقُبلات

وتمنّيات أخواتها الراهبات بالدوام في حياة الرهبنة.. ولم تقدر وسط هذا الاحتفال المهيب أن تخفي آثار دموعها، فقد تحقّقت أمنيتها، ونالت شهوة قلبها في أن تكون عروساً للمسيح، وتمّت نُبوّات العذراء مريم والقديسين..

## قصة اسم إيريني

إنّ الأديرة حدائق غنّاء عامرة بالورود والأشجار، فإذا لمّت الشمس أذيالها وساد الظلام، ظهرت النجوم بلمعانها، وطلع القمر من وراء الأفق، وسكب عليها نوراً بهيجاً لتظل مُنيرة على الدوام، ولهذا أصبح تقليداً في الأديرة أن يأخذ اسم الراهبة المُنتيحة التي انتشرت فضائلها راهبة جديدة بعد نياحتها، حتى تظل سيرتها العطرة حيّة في الدير، وتتناقلها من بعدها الراهبات، وفي دير أبو سيفين عاشت قديسة اسمها إيريني، لم يقدر المرض أن يُخرجها مرّة من الدير! وكانت تعمل نهاراً فتُحضر الماء للراهبات من البئر عملاً بقول المسيح: " عَطِشْتُ فَسَقَيْتُمُونِي " (مت 25:35) وتقضي الليل ساهرة مُحدّقة في السماء، ملتحفة بالطهارة، مُسامرة الفكر النقي، وقد شرفها الله بعمل المعجزات، وأعلمها بساعة نياحتها قبل انتقالها من العالم بثلاثة أيام، فاستعدت أكثر، وصلت وحضرت القُدّاس وتناولت ثمّ

تتبيحت بسلام! فلما أرادت رئيسة الدير أن تحفظ ذكري هذه الأم الفاضلة أعطت اسمها لتماف، فعاشت مثلها مع الراهبات بمحبة وتواضع وسلام كما يُترجم اسمها.

## الملاك الحارس

عاشت تماف بمبدأ: أموت شوقاً إلى الله ولا أحياء ملأ، ومن أين يأتي الملل؟ أليس عندما نتوقف عن الصلاة! ولهذا عاشت حياتها جائعة إلى الحب الإلهي، لأنّها نظرت إلى المستكفين فوجدتهم أشقى الناس وأقربهم من المادة!

ولكن كيف تُواظب على الصلاة وهي تعمل من الرابعة فجراً حتى العاشرة مساءً؟! وكيف تستيقظ والدير ليس فيه منبّهات ولا راهبة تمر على القلالي لتوقظ الراهبات؟ هذا هو عمل الله.. فعندما كان يأتي وقت التسبحة كانت تسمع صوتاً يُناديها قائلاً: إيريبي قومي صلي! فما أن تفتح عينيها حتى ترى ملاكاً فوق رأسها!

## تجربة الطرد من الدير

أيام مضت.. على رهبة الأم إيريبي، عاشت خلالها بين انهماك العمل والصلاة والطاعة، وفجأة وعلى غير



المتوقَّع خرج تُعبان التجارب الجَهَنَّمِيَّ لبيت سمومه في  
عطور الورود! واجتمعت أبالسة الجحيم تُريد أن تلتهم كل  
ما أنبت الحقل من زروع! فقد نما إلى عِلْمِ الأم الرئيسة أنَّ  
الراهبة المبتدئة إيريني ذهبت إلى قلايتها لتستريح، وهى  
تبحث عنها! فاستدعتها وطلبت منها أن تترك الدير وتعود  
لبيت والدها!! كيف والليل خيم بظلامه وأجنحته السوداء  
ترفرف في كل مكان؟! إذاً بعد القُدَّاس لا أجد لك أثراً في  
الدير! ثمَّ أدنَّت لها بالانصراف.

فذهبت تماف وروحها تصرخ من تحت أمواج التجارب  
الَّتِي تُلَاحِقُهَا، ولا حل سوى أن تمتد يد الله لتنتشلها، أمَّا  
الراهبات فصمتن ولم تتدخَّل راهبة لُتُخْرِجُهَا من ضيقتها!  
اكتفين فقط بالحديث مع بعضهن، وإبداء الرأي، وإظهار  
الشفقة على الراهبة المبتدئة! ويسود صمت مُخيف وتسكن  
الحركة في الدير، ولم يسمع أحد وقع أقدام الراهبات في  
الطُرُقَات، ونما الهدوء أكثر، بينما تماف في قلايتها تبكي،  
والشوق إلى الحياة الديرية يوقظها كلَّما غالبها النُعاس.

وفجأة أضاءت قلايتها بنور عظيم، فبعد أن حاك الليل  
من ظلامه نقاباً أخفى كل شيء من أمام عينيها، أضاءت  
السماء مُصباحاً من أشعة القمر لتُثير الطريق أمامها! فقد  
تجلَّى أبو سيفين بمجده يطمئنها، ويؤكد أنَّها لن تترك

الدير! وكيف تترك الدير وقد أتت إليه بنُبوءة؟! ولكن في لحظات التجربة كثيراً ما تختفي الحقائق من أمام أعيننا! وتتسلل أشعة الصباح من النوافذ، لتُعلن أنّ الظلام قد ولّ هارباً، وبينما كانت تماف تُصلي المزامير، سمعت صوت طرق شديد على الباب، ويبدو من سرعة حركة اليد وقوّتها أنّ الطارقة فَرِحَة، فلمّا فتحت وجدت راهبة عانقتها وأخذتها لرئيسة الدير فوجدتها أيضاً فَرِحَة، وفاتحة ذراعيها لتحضنها وبصوت ملؤه الندم اعتذرت لها وأعلمتها بمجيء أبو سيفين وتهديده لها إذا أرغمتها على ترك الدير!

## عام خارج الدير

جاء الخريف يُعلن عن نفسه، فقد نما إلى علم تماف، أنّ والدتها قد تتيّحت، فتذكّرت ما قالته لها قبل أن تذهب للدير: انتظري ثلاث سنوات إلى أن أذهب للسماء! فهل تترك الدير وتذهب؟ لم تُفكّر كثيراً فقد طلبت منها الأم الرئيسة أن تنزل لتُعزّي وتمكث بجانب أسرتها حتى يخرجوا من ضيقتهم، فأربع بنات وولدين حمل كبير على الأب.. وفي المكان الذي جمعها ربيع الحُب في قبضة أسرة تقيّة، عاشت بين جدران ذابت فيها أرواح البشر حُباً لخالقها، في نفس المكان يجمعها الشتاء القارص أمام عرش الموت!

فما أبهى نور ذلك النهار حيث الصلاة، وما أشد ظلمة هذا الليل حيث الندب والنواح! وبعد عام في بيت أبيها حامت تماف كطائر جريح يبحث عن عشه عادت إلى ديرها. فهل تزعزعت تماف في بيت أبيها وندمت على رهبتها؟ لا! لم تخب آمالها في تكريس حياتها، وكيف تندم من تطوي عمرها في خدمة الله، وتثريق حياتها سكبياً على مذبح الصلاة؟! فليس أعظم صمت الحياة الخاشعة والركب الراكعة، والأيدي الضارعة، والدموع الصامته، والقلوب الهائمة التي تُصعد حُبها بخوراً لله في زفرات منقطعة!

## الفصل الخامس

تماف رئيسة لدير أبو سيفين

### حيرة وارتباك

إنَّ الطائر الصغير الذي لم تنمو أجنحته بعد، قد يتنقل في عشّه وحده، ولكنّه لا يقدر أن يدب بين الصخور، ولا يستطيع أن يسبح في الخلاء الفسيح، والعيون التي أصابها الرمد يمكن أن تُحدّق في الأشياء الصغيرة، ولكنّها لا تقوى أن تنظر إلى الأنوار الساطعة!! كما أنّ الرؤساء كالنجوم، رغم أهميّتها إلاّ أنّها تتحرّك بمداومة.

وهل يلتقي الشباب الغض بالشيخوخة الذابلة؟! كيف لمن كانت بالأمس كلمة صامته في صدى الليل ليس من يسمعها أو يعمل بها، تصير اليوم عظة مُدوّية يهتز لها الوجدان عند سماعها!؟

أسئلة كثيرة وحائرة تردّدت على السنة الراهبات، عندما تم اختيار أحدث راهبة رئيسة لدير أبو سيفين، لتقود راهبات فاضلات طاعنات في السن عددهن (51) راهبة، وهي لا تزال في " السادسة والعشرين " من عمرها!!

## إصرار البابا كيرلس على سيامتها

لحظات جمعت بين دموع الشتاء ونسمات الربيع، فالأم  
إبريني تبكي والراهبات فرحات! بينما البابا كيرلس يُصرُّ  
على سيامتها، لأنَّها كانت روحاً وطُهرًا ومحبة.. ولم  
تنفعا الدموع ولم يعد للرفض جدوى، فقد تمَّت سيامتها يوم  
(15 أكتوبر 1962م) وألبسها الإسكيم أنبا كيرلس أسقف  
البلينا، وهكذا بعد أن كانت تماف زهرة نابئة لا تشعر  
الحياة بوجودها، أصبحت كالبيستاني ترعى أزهاراً وتسقي  
أشجاراً، والأرض الخربة عليها أن تنزع الأشواك منها!

## تجارب وحروب

لكنَّ الضباب يستر الأرض والرؤية غير واضحة،  
وصوت رعود أمواج البحر يشبه الرعود العاصفة، والغربان  
الجائعة تحوم حولها، وهي تُريد أن تلتهم الأفكار النابئة في  
رأسها! لا داعي للقلق فالنور والظلمة إلى الأبد يتصارعان!  
والخير والشر يتعاقبان! لنبدأ والله سيُنمي البذار الصالحة،  
هكذا بدأت تماف قيادتها! ولكني صغيرة وأحتاج إلى خبرة  
وإرشاد؟ البابا كيرلس يتدخَّل ويساندها بأعظم الإرشادات،  
والفقر الذي يُخيِّم بضبابه الكثيف على الدير؟ لا مشكلة

فالفقر لو تمَّ إبادته، لأصبحت النفس البشريَّة صحيفة خالية  
إلاَّ من أرقام تدل على الأنانيَّة الجامحة ومحبَّة الامتلاك!  
لقد أدركت تماف بحكمتها أنَّ المال يقضي على حياة  
الراهبات الروحيَّة، وكما قال القديس العظيم أغسطينوس:  
أن تستريح = أن تهزم، والأفضل أن تصرف وقتها في  
الصلاة والعمل الجاد.. فهذا عنوان السعادة ومصدر راحة  
الراهبات في المستقبل.

## نظام الشركة

تمنَّت تماف أن يسير الدير على نظام الشركة، فظهر  
لها أنبا باخوميوس وأعلمها بمكان المخطوط الذي يتحدَّث  
عن نظام الشركة الباخوميَّة في مكتبة الدير.. فعملت مائدة  
للطعام، وحددت قانون للصلوات الجماعيَّة وتسبحة نصف  
الليل، وأسست مكتبة للكتب.. فزاد عدد الراهبات كما تتبأ  
البابا كيرلس، وتم إنشاء ديرين آخرين لأبو سيفين في  
سيدي كرير والقناطر الخيريَّة.

## الاهتمام بالزوار

اهتمت تماف بعيد أبو سيفين، ففتحت أبواب الدير  
ومعها فتحت قلبها للزوار، فأتى التعابى ومسحت بأيديها



## الفصل السادس

### دور البابا كيرلس في حياة تماف

بعد رهينة تماف أصبحت حياتها دمة وابتسامة، فقد ترنمت مع الربيع بألسنة السّواقي، وابتسمت بشفاه الأزهار، ولمّا جاء الشتاء بكت مع دموع المطر، وانتحبت مع قسوة رياحه.. فقد جاء ليل الألم ليخفي جمال الحياة من عينيها! فذهبت إلى الأطباء تشكو من صداع أصابها، فاتفقوا واختلّفوا في تشخيصهم ولم تنتفع شيئاً! ويوم بعد يوم تزداد الآلام كما لو كانت زلزال حبلت به الأرض متوجّعة، تُريد أن تلد الألم والشقاء! فما هو الحل؟ رئيسة الدير تقترح أن تذهب إلى القمّص مينا المتوحّد.

### أول لقاء

أول لقاء وما يُصاحبه من أول نظرة وأول حديث، هو الشُعلة التي تُثير خلايا النفس، وتُحدد مصير علاقات وشخصيّات.. فما أن رأى القمّص مينا تماف حتى قال للأُم كيريّا التي رافقتها: هذه هي رئيستكم!! كيف وهي أصغر راهبة في الدير؟! قد تستطيع أن تحيا كعصفور



تخلب بتغريدها مسامع الراهبات، لكنّ العصفور لا يقدر أن يجرّ المحراث خلفه في الحقل، ولا أن يدور بعجلة معصرة الزيت، لكنّه أكّد قوله، ثمّ تحدّث عن مجد الدير في عهد تماف وكثرة الراهبات فيه.. وإذ تستأذن الأم للانصراف، ثبتت عينيها العميقتين بنظرات شكر على وجه البابا، بعد أن صلّى لها واختفى الصُداع، وأعلمها أنّ آلامها حرب من كثرة الصلاة والقراءة.

وتمر الأيام وتتعبها السنين، وتأتي الملائكة لتحمل روح الأم البارة كيريّا واصف رئيسة دير أبو سيفين إلى السماء في (24 سبتمبر 1962م)، وهي التي كانت تتسم بالروحانيّة، وقد حفظت معظم أجزاء الكتاب المقدّس عن ظهر قلب، حتى إنّ بعض المطارنة كانوا يُلقبونها ببولس الرسول، فلمّا سمع قداسة البابا كيرلس بخبر النياحة أرسل أنبا كيرلس أسقف البلينا بخطاب يطلب سيامتها.

## إرشادات البابا

أنا راهبة صغيرة أحمل عقلاً صغيراً، أُخرجه من رأسي وأحمله على كفي وأتفحصه فأجده يحتاج إلى خبرة وإرشاد! فهل يُرشدني الله أم يُرسل إرشاده لي عن طريق البشر؟ تُشير الأحداث إلى أنّ الله ساندها كثيراً وأرشدتها عن طريق

البابا كيرلس، فقد تعلّمت منه حكمة: ألاَّ يُحطّم الأعرج عكّازه أمام الناس لأنّه بهذا يظهر ضعفه، ولأنّها صغيرة يجب ألاَّ تظهر ضعيفة أمام الراهبات.

وتروي تماف أنّها كانت في حاجة إلى إرشاد سيّدنا، عندما كان في دير مارمينا، لكنّها مريضة ولا تقدر على السفر فماذا تفعل؟ ظهر لها البابا وتكلّم معها! وأرشدتها في كل ما طلبته منه، وعندما ذهبت إليه بعد ذلك، تكلمت معه وأعلمها بمجيئه وكل ما قاله لها!

## نمرة التليفون

يوم السبت يهل بصباحه مبتسماً كورود الربيع، والشمس تتجلّى مُشرقة في كبد السماء، حيث اعتاد البابا كيرلس أن يلتقي برئيسات أديرة الراهبات من الساعة الثانية ظهراً إلى الساعة الخامسة، ليُرشدهنّ ويعزّيهنّ ويأخذ بأيديهنّ.

وقد اعتاد قداسته أن يُعطينه نمرة التليفون عندما تتغيّر، ومرة لم يعطيها لهن، في وقت كانت تماف في أشدّ احتياج لإرشاده، فظهر لها وتكلّم معها، ولمّا طلبت النمرة أعطاهها لها، وفي الصباح طلبت قداسته فقال لها متسائلاً: من أعطاكِ النمرة؟ فضحكت وقالت: شوف قُدسك مين؟!!

## نصف تفاحة

هرولت مُسرعة للقاء البابا بينما عاصفة الجوع تعصف بها، فقالت في نفسها: إفتح يا سيّدنا لتعطيني حاجة أكلها، ففتح! وعندما جلس مع الراهبات أعطاهما نصف تفاحة وكل راهبة ربع! فداعبته الأم كيريًّا قائلة: أنت مش قادر تخفي محبّتك لتماف حتى في وجودنا، فقال: أنتِ أكلتي كذا وهذه أكلت كذا! أمّا هي فلم تأكل شيئاً! فكيف عرف إن لم تكن لديه شفافية!! فانطبق عليه القول: إن كنت لا ترى غير ما يكشف عنه الضوء، ولا تسمع غير ما يُعلن عنه الصوت، فأنت في الحقيقة لا تُبصر ولا تسمع!

## فقر و عنطره

اعتاد رجل غني أن يذهب للدير ويُعطي الراهبات فلوس في أيديهن، وكان هذا يُتعب تماف جداً، فرفضت أن يستمر هذا الوضع، وطالبتة أن يتوقّف عن هذه العادة، فتألّم الرجل فإنّه لعذاب حقيقيّ أن يمد إنسان يده ملأى فلا يجد من يغترف منها!

فلمّا ذهبت تماف للبابا قال لها: هو فقر و عنطره! فتعلّمت أنّ الكلمة الطيبة والتواضع فأس ومحراث يمكن أن

نحفر بهما الأرض فنجد كنزاً، شرط أن نحفر بإيمان الفلاح  
وتواضعه، وهؤلاء الذين يأتون إلى الأديرة، هم أشبه بسائح  
الذي ينتقل من مكان إلى آخر، فيأتي إلينا لعلّه يكتشف في  
حياتنا إقليماً جديداً!

والحق إننا كثيرا ما نتعلم الصمت عن الثثار،  
والتسامح عن المتعصب، والرقّة عن القاسي، والعطاء عن  
البخيل.. ومع هذا لا نعترف بحق هؤلاء علينا، ونُنكر أنّهم  
علّمونا أشياء ربّما كنّا بدونهم نجهل أن نتعلّمها!

## الفصل السابع

### رحلة تماف مع المرض والألم

عندما أراد القديس أغسطينوس أن يصف آلام البشر قال: يولد الإنسان وعلى رأسه تاج الألم، لأنّه مولود من آدم الذي يستحق العقاب! فمذ أن سقط الإنسان والألم قد صار بذوراً تنمو في بستان الحياة، ريحاً تسري مع أنفاس البشر..

لكنّ تماف لم ترهبه عندما أراد أن يُمزق بسهامه المسمومة أحلامها، أو يُنبت أزهاره الكريهة الرائحة في حقول أفراحها، أو يقصف بمناجله الناريّة سنابل قمحها، أو يغزو بجيوشه البربريّة حصون قلبها، لأنّها كانت ترى أنّ يسوع مسّة بلمسة إلهيّة، فصار الألم رسالة كما حملها ابن الإنسان ستحملها بشكر وفرح! ولهذا رفعها مُخلّصنا علي أجنحة حُبّه وطار بها نحو دائرة النور! فصار الألم ظلاماً رأت من خلاله أنوار السماء!

كم من مرّة كانت آلامها تستدرّ الدموع من عيون محبّيها؟! وكم قالوا: إنّ أمواج بحر الألم كادت أن تمحو آثار أقدامها من على رمال شاطيء الحياة؟! أليست تماف

هي الفتاة الرقيقة التي ذهبت إلى الدير، لتسبح في بحر الحُب وترتوي من مائه العذب، فإذ بها تُلطم أمواج التجارب وتُصارع لُجج المرض؟! ألا تكفي (27) عملية لتستقطر الدم من قلبها؟! ولكنّها لم تبني جسراً فوق خليج المرض الناريّ، لكي لا تدخل إليها أمواجه المشتعلة، فقد كانت تؤمن بأنّ يسوع البار الذي عاش على الأرض بجسد مثلها، وقد أصابت جسده سهام الألم الناريّة، قادر أن يُعينها ويُعزّيها ويُعطيها القوّة على احتمال الألم، واعتقدت مثل كثيرين غيرها، أنّ هناك أمراضاً كثيرة لا يشفيها سوى الموت!

حقاً إنّها لم تعرف سرّ أناس وُلدوا وعاشوا في خريف دائم من الحزن والفقر والمرض! أو تجد تفسيراً عندما تبعث بنا الأرض إلى الصحراء لتقذفنا الجبال بحجارتها الصمّاء! فمن العجب أن تُعطي الأرض الأشرار الجذور الخصبة التي ترضع من تربتها، وتمنع ثمرها عن أولادها الأبرار! وتسد آبارها لكي لا يشربوا من مائها! لكنّها لم تكسر القيثارة كالأعمى لأنّه لا يرى الموسيقى في أعماقها، فسرّ الأسرار سيبقى غامضاً! وهل كان أحد يظن أنّ الذي مات سيغلب الموت بموته؟! والذي دُفن في الأرض جسداً مهشّماً سيقوم بجسد نورانيّ يحمل مجدداً وقوّة؟!!

لقد كان المرض صليباً رافقها في حياتها، يُريد أن يستدرّ دموعها ويستنزف دماءها ويذهب بها إلى ظلمة القبر! ولأنّ الزيت لم يكن شحيحاً لهذا لم يكن شعاع الألم ضئيلاً، فقد طُفح على ملامحها وحركاتها فرقدت أخيراً من شدّته، وصارت نفسها المتألّمة تجد راحتها بالبعد عن الناس، حتى لا يتألّموا لآلامها ويحزنوا على معانيتها، وهي التي كانت مصدر فرح وعزاء لهم، ولكن يجب أن تشرب كأس الألم حتّى نهايته، فهي التي طلبت في صلواتها أن يكون المرض صليبها هو الألم، ولا يكون لها صليباً في إحدى بناتها، وبذلك تمثّلت بالراعي الصالح الذي يبذل نفسه عن خرافه!!

وتركب تماف السيارة لتذهب إلى مركز الحياة، وتُلوّح بيدها المرتعشة تُحيي بناتها وهي في الحقيقة كانت تودّعهم وما أن رقدت على سرير المرض، صار صوتها أقرب إلى التتهدّ منه إلى الهمس، وحركاتها أشبه بطفلة نائمة تُراودها أحلام ملائكيّة تشتهي نفسها ألاّ يستيقظ حتى لا تفقد بهجتها، ومع أنين غصّات المرض وضعت يديها على عينيها، كأنّ ذكرى الماضي تجسّدت أمامها، أو صور القديسين ارتسمت أمام عينيها، وهي تُحدّق فيهم ولا تُريد شيئاً يخفيهم عنها وإن كانت شفتاها تتحرّكان فإنّما تهمسان

تطلبان رحمة ومعونة لأولادها فكان صوتها كحفيف أجنحة  
عصفور في عشّه، يُريد أن يستريح فيه مدى الحياة، فهي  
مستعدة بقوة إيمانها لتستقبل سهام الموت في صدرها بلا  
خوف، لقد رفعت عينيها إلى السماء، ولا تُريد أن تخفضهما  
إلى الأرض مرّة ثانية، حتى لا ترى الجماجم المطروحة  
بين الصخور، أو الأفاعي المنسابة بين الجحور!  
وهكذا سارت بألف قدم نحو يسوع حبيبها، ووصلت  
بجهادها إلى قمة الجبل، وهي الآن تريد أن تترنم مع أرواح  
القديسين الذي انتصروا وغلبوا قوَّات الشر بحياتهم الطاهرة.



## الفصل الثامن

### الانتقال إلى أمجاد السماء

ذهب الربيع بعبير نسّماته، وتلاه الصيف يُلهب العظام بلهيبه، ثمّ جاء الخريف ليسقط ثمرتها من شجرة الحياة، هكذا تدرّجت تماف من ربيع طفولة بريئة في بيت أبيها، تتمتع بحُب وحنان أبيها، إلى قسوة تجارب كلّهيب الصيف عندما دخلت الدير فتاة صغيرة، حتى جاء الخريف ليؤكد أنّ الموت هو المنتصر في نهاية المطاف! وهكذا جاء الشتاء باكياً منتحباً على نجم لمع ثمّ اختفى بين ضبابه، فاختمر هواءه بأنفاس الحُزن، وامتزجت أمطاره بدموع الألم!

### صلوات الراهبات

وفي الدير تجتمع الراهبات متأثرات وبين أصوات باكية وأخرى ترتجف كأوتار مرتخيّة، يصرخن: لا، فليبق طائرنا البديع حيّاً، ليبق بلبنا الروحانيّ مُغرّداً، حتى ينتهي الربيع، حتى ينتهي الوجود، لا تُسكته يارب لأنّ صوته يُشجينا، ولا توقّف جناحيه لأنّ حفيفهما يُزيل الضباب عن قلوبنا!

لكنَّ زئير الموت كان أقوى من صلوات الراهبات، وقد غطَّى بضجيجهِ على أصواتهن، وتماف شَبِعَتْ من الحياة وروحها تريد أن تستريح بين يديَّ خالقها، وهى ترغب أن يُشعلوا الشموع حول مضجعها، وينثروا أوراق الحُب على جسدها، ويُصلّوا من أجلها!

## التوافد إلى مركز الحياة

ويتوافد الناس إلى مستشفى مركز الحياة ليروا زنبقة الحقل ولكنَّ المرض كان قد أثقل ظهرها وأحنى قامتها، لكنَّها لم تكن كسيرة القلب، وهى تشتاق للقاء حبيبها لترتاح من عناء السنين، وراحة الشيوخ الأبرار بين أجنحة الموت الناعمة! حيث تتطلق الروح نحو الأبدية مُسرعة، والجسد يخطو نحو الفناء في تربة الأرض الفانية.

## اللحظات الأخيرة

الإرهاق يُسرع في تفاقمه والنُعاس يتضاعف والنبض يضعف.. الطبيب يطلب الراحة التامة! وتماف تعلم أنَّها محاولات بشرية بلا فائدة، فالموت قد طبع بصمته في الوجود، أعلن أنَّ حياتنا مصيرها الفناء، إلاَّ أنَّ بصمته هى إعلان أنَّها قد بدأت الحياة! لقد حلق الموت بأجنحته

السوداء فوق سريرها، ونفح في الهواء من حولها تلك الكلمات البليغة: لن يرجع إلى الأبدية إلا من عاش للأبدية.

وبعد أن صلّى نيافة الأنبا أرسانيوس مطران المنيا أوشية المرضي، وقرأ التحليل جهراً على رأسها، قالت بنعمة مفعمة بحلاوة الرجاء: الآن يا سيدي تطلق عبدتك بسلام! وما أن أنهت كلامها حتى انعكست على وجهها أشعة شبيهة بذلك النور الذي ينبثق من عيون الأطفال، وافترشت شفيتها ابتسامة قُديّة، فخرج أنبا أرسانيوس من الغرفة باكياً، فقد عرف أنّ الموت قد وضع أنامله على فمها.

## النهاية

وتعالّت أصوات البكاء والنحيب، وتوالّت القبلات على رأسها من الراهبات المرافقات لها، وغيرهن وضعن رؤوسهن على صدرها يبحثن عن حنان فقدوه، وبدأت تتردد كلمة أم.. وأمنا.. وأمّي.. على شفاههن، لأنّ لفظة الأم تختبئ في قلوبنا كما تختبئ النواة في قلب الأرض، وتتنبثق من شفاهنا في ساعات الحزن والفرح، كما يتصاعد العطر من قلب الورد في الفضاء الصافي أو المُمطر.

حقاً إنّ كلمة أم من الكلمات الصغيرة في حروفها،  
ولكنّها كبيرة بما تحمله داخلها من حُب وعطف وحنان  
وبذل وعطاء.. هي تعزية في الحزن، ورجاء في اليأس،  
وقوّة في الضعف، وكل من يفقد أمّه يكون قد فقد صدرًا لن  
يجد مثله ليسند إليه رأسه، ويداً تخدمه، وعيناً تسهر عليه  
لترعاه، وأذنًا تصغي إليه...

## استعدادات الدير

ويفتح القبر فاه.. بينما الدير قد تم تجهيزه، والناس  
المجمعة في انتظار مجيء الجثمان.. وقد كان! ففي يوم  
(31 أكتوبر 2006م) ينتشر عبّق الحُب في أروقة  
المستشفى ويملاً حُجرتها، فقد خرجت روح الراهبة الطاهرة  
الأم إيريني، لترتاح من رحلة طويلة امتزج فيها الحزن  
بالفرح، وقد تم وضع جسدها في كنيسة أبو سيفين ليتبارك  
منه الناس، بينما أجراس الدير تُطلق أنيناً وكأنّ نواحاً يوقظ  
النفوس ليودّعوا جوهرة السماء..

وفي الدير انعقدت السنة الراهبات والزوّار.. ولم تقدر  
على الكلام، فناب الدمع عن الكلام، وبينما الناس تتألم  
كانت السماء تتهلل، وملائكة السرور تحوم هنا وهناك، فقد  
ربحوا قديسة عظيمة انضمت إلى صفوف الأطهار.

## الصلاة على الجثمان

وفي يوم الخميس (2 نوفمبر 2006م) وسط احتفال جنائزي مهيب، تمت الصلاة على الجثمان الطاهر، ليتمّ القول: **رُبَّ جَنَازَةٍ بَيْنَ الْبَشَرِ هِيَ عُرْسٌ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ!** ومع بكاء الناس كانت هناك أيضاً صلوات تُرْفَعُ إِلَى السَّمَاءِ مِنْ أَجْلِهَا، وَهِيَ الَّتِي قَدْ صَلَّتْ بِحَرَارَةٍ وَدُمُوعٍ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ.

وقد شارك في صلاة الجَنَازِ جمع غفير لا يُحصى، مع أحد عشر أسقفًا غير الكهنة والرهبان.. وحضر الأستاذ فوزي شاكر مدير ديوان الرئيس حسني مبارك نائباً عنه، وقد ألقى نيافة الأنبا رافائيل كلمة بليغة عن تماف وحياتها الطاهرة وكفاحها.. نيابة عن قداسة البابا شنودة الذي كان خارج مصر في رحلة للعلاج، وبعد الصلاة وضعوا الجسد في مزار تمّ إعداده خصيصاً لها، في دير الشهيد العظيم أبو سيفين حتى يتبارك منه الزوار.

انطلقت روح تماف النبيلة وسَبَحَتْ عَلَى أَجْنَحَةِ الْحُبِّ الطاهرة البيضاء، في فضاء بلا غيوم وتُعَطَّرُهُ رَائِحَةُ الزَّهْرِ وَعَانَقَتْ الْأَبَدِيَّةَ رُوحَهَا، وَاسْتَرْجَعُ التُّرَابُ الْجَسَدَ الَّذِي أُخِذَ مِنْهُ، وَانْسَكَبَتْ الْعَيُونَ بَاكِيةً عَلَى فِرَاقِهَا، وَلَكِنْ مَعَ تَهْدِئَتِهِمْ تَصَاعَدُ هَمْسُ الزَّهْرِ وَحَفِيفُ الْغُصُونِ...

أهكذا تبتلع اللجة نغمة العصفور وتنتثر الرياح أوراق  
الورود؟! سؤال يفرض نفسه ولا إجابة سوى: هذه هي  
الحياة!! ولكن الشعاع الذي أنار قلوبنا لهو أقوى من ظلام  
الموت، وإن فرقتنا العاصفة على وجه بحر العالم الغضوب  
فأمواج الحُب تجمعنا على الشاطيء الهاديء، وإن قتلتنا  
الحياة فذاك الموت يُحيينا! والحكيم هو من ينظر ويتعلم،  
ويعرف أننا مهما امتلأنا واغتنينا ورحنا، فسوف يأتي  
الموت ويجعل من حياتنا صفحة بيضاء.

## الفصل التاسع

### معجزات لتماف إيريني

# توقف الأسانسير

في دير أبو سيفين بالقناطر الخيريّة أثناء سفر تماف إيريني للعلاج في أمريكا عام (1999م)، أخذت راهبة حقنة الأنسولين ونزلت بالأسانسير، وفجأه انقطعت الكهرباء! فأخذت تطرق على الباب من الداخل دون جدوى، ثمّ شعرت بهبوط وعرشة وعرق.. فصلت بيبكاء وخاطب تماف قائلة: أنتِ يا تماف بتحسّي بكل الناس إزاي مش حاسة بيّ؟! أنا هموت داخل الأسانسير! وبينما هي تقفز وجدت من يأخذ بيدها، لأنّ هناك مسافة حوالي مترين كانت بين الأسانسير والدور الثاني!

وفي ظهر اليوم التالي اتّصلت تماف تليفونيّاً من أمريكا وقالت: فين أمّنا.. أريد أن أسمع صوتها! فلمّا كلّمتها داعبتها قائلة: أنتِ لسه عايشه؟ فأجابت: أنا عايشه بصلواتك يا تماف فقالت: أنتِ أفضل من أمس، فقالت: هو أنتِ حسّيتي بيّ؟! فقالت: احتفظي بأكل في قلايتك، أو تأخذي حقنة الأنسولين قبل أن تنزلي!!

## آام راهبة

روت راهبة من دير أبو سيفين أنّها في عام (1985م) تألّمت كثيراً رغم انتظامها علي العلاج! فلما علّمت تماف نادتها وعزّتها بكلامها الروحانيّ البسيط، وصلت لها، وكانت الراهبة واقفة مغمضة العينين، فلما انتهت تماف من الصلاة فتحت عينيها فرأت تماف ارتفعت عن الأرض محمولة علي سحابة بيضاء، فصمتت ولم تستطع أن تفتح فمها من الذهول الذي أصابها، وبعد الانتهاء من الصلاة نظرت إليها تماف بابتسامتها الرقيقة التي كانت تفرش شفيتها، وربّنت علي كتفها في أمومة وحنان.. وتمجّد الرب وزالت كل آامها!

## الكلاب تهجم علي راهبة

في عام (1989م) حدثت هذه المعجزة مع راهبة كانت ذاهبة لتساعد الأم المسئولة عن حوش الكلاب، ففي منظر لا يتجسّد بقلم كاتب فوجئت بكلابٍ تهجم عليها في الساعة التاسعة مساءً، ولكم أن تتخيّلوا ما أصابها من خوف عندما أمسكت الكلاب بثيابها وارتمت علي كتفها.. إنّها لحظات شعرت خلالها أنّ القبر فتح فاه ليتلهمها! وفجأة وعلى غير المتوقع رأّت يدان ممدودتان نحوها، وشعاعاً ينزل من



أصابع كل يد! فابتعدت عنها الكلاب، وسمعت صوتاً يقول لها: اتفضلي عدّي! فشعرت بسلام واستجمعت قواها وذهبت إلى قلايتها.. واجتمعت الراهبات حولها وقدمن لها ماءً فشربت ونامت.

وبعد أيام عادت تماف إلى الدير فلما قابلتها قالت لها: عملتي أيه مع الكلاب؟ فقالت لها: أنتِ كنتِ معي؟ فقالت تماف: ما أنا التي كانت معك! فقالت لها: كيف شعرتي بي؟ فقالت: بينما كنتُ أصلي شعرت بحاجة خطفت قلبي ودفعتنى لرؤيتك في كرير.. فذهبت إليك وأبعدتهم عنك بقوة ربنا.. ثم طلبت منها أن ترشم ذاتها بعلامة الصليب عندما تكون في ضيقة وتطلب معونة القديس أبو تريبو..

## ولادة متعثرة

تزوَّجتُ وسافرتُ لأثينا وبعد الحمل أثبتت التحاليل أنني سوف أجهض، فتألّمت لأني أريد أن أشبع أمومتي، وأثناء ذهابي للنوم بكيّت بشدّة، وعاتبّت تماف وقلت لها: أنا نفسي في بنت أسميها إيريني، وأثناء نومي شعرت بخبطة أعلي بطني، فاعتقدت أنّها الطفلة فلما عملت تحاليل ظهر أنّ الطفلة سليمة، وأثناء الولادة كان الطبيب اليوناني في قمة الفرح، وأكّد لي أنّ ما حدث هو معجزة!

## آلام في ظهري

أصابني الألم وأنا طالب رهبنة في ظهري، ثمَّ آلام في مفاصلي ورقبتي.. وعشت فترة لا أعمل ميطنيات، وكنت أصلي كثيراً وأنا مُلقى على ظهري، حقاً إنَّ تعزّيات الرب ساندتني، ولكنِّي أريد أن أنطلق أكثر في حياتي الروحيّة! وفي يوم اشتقت لعمل الميطنيات، فوقفت وصلّيت وطلبت من الله أن يُساعدني بصلوات تماف إيريني مع آخرين غيرها، وكانت المفاجأة أنني عدت إلى حالتي الطبيعيّة ولم أشعر بأيّ ألم، لا في رقبتي أو ظهري أو مفاصلي!

# الفهرست

5	..... تقديم لنيافة الأنبا أرسانيوس
7	في ديرك وامام جسدك
9	..... (الفصل الأول)
	..... ميلاد.. وتنبؤات.. ومعجزات
16	..... (الفصل الثاني)
	..... الاستنطاق إلى حياة الرهبنة
26	..... (الفصل الثالث)
	..... تمام في دير ابو سيعين
33	..... (الفصل الرابع)
	..... يوم الرهبنة العظيم
39	..... (الفصل الخامس)
	..... تمام رئيسه لدير ابو سيعين
43	..... (الفصل السادس)

48	دور البابا كيرلس في حياة تماف (الفصل السابع).....
52	رحلة تماف مع الالم (الفصل الثامن).....
58	الانتقال إلى امجاد السماء (الفصل التاسع).....
	معجزات لتماف إيريني

# كتب صدرت وأخرى تحت الطبع

- 1- شوكة الخطيئة (الطبعة الخامسة)
- 2- الشهوة (الطبعة الثانية)  
الشهوة 7 أجزاء (نفس الكتاب السابق)  
+ جذور الشهوة (الطبعة الثالثة)  
+ سلطان وسحر الشهوة (الطبعة الثالثة)  
+ مظاهر الشهوة في حياتنا (الطبعة الثالثة)  
+ الشهوة والحُب (الطبعة الثالثة)  
+ ماضي الشهوة وأثره في الإنسان (الطبعة الثالثة)  
+ موت الجسد وموت الشهوة (الطبعة الثانية)  
+ يمكنك أن تقمع الشهوة (الطبعة الثالثة)
- 3- اللذة الوهميَّة (الطبعة الثالثة)
- 4- اللذة الحقيقيَّة (الطبعة الثانية)
- 5- أزمة حب (الطبعة الثانية)
- 6- العاطفة (الطبعة الثالثة)
- 7- رسالة تعزية (الطبعة الثالثة)
- 8- الإنسان المجروح (الطبعة الثانية)
- 9- أغصان الشر (الطبعة الأولى)  
أغصان الشر 4 أجزاء (نفس الكتاب السابق)  
+ إليكم يا من تشعرون بالرفض  
+ إليكم يا من تشعرون بالذنب  
+ إليكم يا من تشعرون بالخوف  
+ إليكم يا من تشعرون بالنقص
- 10- الثعالب الصغيرة (الطبعة الثالثة)
- 11- عصر القلق (الطبعة الثالثة)
- 12- الأنبا كاراس السائح (الطبعة الأولى)
- 13- متألّمون ولكن.. (صدر من قبل باسم ذخائر الظلام)
- 14- الذات (الطبعة الأولى)

- 15- مشكلة الشر (الطبعة الثانية)
- 16- رحلة الآلام (الطبعة الثالثة)
- 17- أرشدني عصفور (الطبعة الأولى)
- 18- علمتني سمكة
- 19- انطلق (صدر من قبل باسم حريتي)
- 20- السكون في تعاليم مار إسحق السرياني (الطبعة الأولى)
- 21- أفكار (الطبعة الأولى)
- 22- اللقاء (الطبعة الأولى)
- 23- المدخل إلى الحياة الروحية (الطبعة الثانية)
- 24- قف وانظر واسأل: أين هو الطريق؟ (الطبعة الثانية)
- 25- الحُب الإلهي (صدر من قبل باسم هكذا أحبنا)
- 26- الآخر في حياتي (الطبعة الثانية)
- 27- حوار عن الله (الطبعة الثانية)
- 28- الطبقيّة ضد التعاليم المسيحية (صدر من قبل باسم أسياد وعبيد)
- 29- عيد الميلاد (الطبعة الأولى)
- 30- عيد الغطاس (الطبعة الأولى)
- 31- عيد القيامة (الطبعة الثانية)
- 32- أحد الشعانين
- 33- عادات شعبية أكل البيض والبصل والفسيح في شم النسيم
- 34- مريض عقليّ يحصل على جائزة نوبل ماذا نتعلم؟
- 35- إليك يا من تخدم: الراهبة إيمانويل عاشت في عِشّة لتخدم الزبّالين
- 36- سيرة القديسة تائيس
- 37- سيرة القديس يوحنا الراهب صاحب الإنجيل الذهبيّ
- 38- سيرة الراهب بلام ويواصف
- 39- لمحات من حياة الأم إيريني
- 40- شعاع أمل - هيلين كيلر معجزة الإرادة البشريّة
- 41- القمص بيشوي كامل - قدوة وأبوة ورعاية
- 42- ديانتي (تحت الطبع)
- + ( CD باسم أعمال الراهب القمص كاراس المحرقي الجزء الأول)
- + ( CD باسم أعمال الراهب القمص كاراس المحرقي الجزء الثاني)